الأستــاذ: غـفـور عـبـد البـاقـي.

المقياس: مخاطر المخدرات.

السنة الثالثة ليسانس– ديمغرافيا–

شعبة الديمغرافيا– قسم علم الاجتماع.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

المحاضرة الأولى:

تمهيد

عرف الإنسان المواد المخدرة –الطبيعية– منذ العصور الأولى التي ترجع إلى العصر الحجري، حيث استخدمتها بعض القبائل في طقوسها الدينية واستخدمتها كثير من المجتمعات لمعالجة بعض الأمراض.

ولم يكن ينظر للمخدرات على أنها مشكلة صحية واقتصادية تتطلب تدخلا سريعا من مختلف الجهات الرسمية وغير الرسمية باتفاق مختلف الأطراف إلا في منتصف الستينات، وذلك راجع لارتفاع إنتاج المخدرات وزيادة الطلب عليها، إضافة للنتائج السلبية المتعددة المترتبة على ذلك.

ولقد استمرت قوة الاهتمام على الصعيد العالمي على ما هي عليه طوال الثمانينيات و مع بداية التسعينيات، حيث لم يعد تعاطي المخدرات مقتصرا على مجرد حالات فردية يمكن التعامل معها من خلال المنظور الفردي، سواء بالعلاج الطبي أو الجنائي، بل تحول الأمر إلى ظاهرة اجتماعية، بل مأساة اجتماعية خطيرة، يتوجب النظر إليها من مستوى اجتماعي وقومي.

وبالرغم من التكاليف الباهظة التي تنفق سنويا لمكافحة انتشار المخدرات والتوعية بأضرارها وعلاج المدمنين التي تقدر بمليارات الدولارات سنويا، إلا أن الطلب على هذه المادة في تزايد مستمر مما أدى إلى الزيادة في العرض وفي تنوع المواد المعروضة واتساع في طرق التهريب وتنوع في طرق الترويج. وهذا راجع إلى أن اقتصاد بعض الدول المنتجة للمخدرات يركز على عائدات المخدرات. أي أن مشكلة المخدرات أصبحت ذات أبعاد اقتصادية وبالتالي يصبح من الصعب إن لم نقل من المستحيل القضاء عليها.

وتشير بعض المعلومات المحصلة حول تجارة المخدرات عالميا أن عائداتها بلغت 500 مليار دولار سنويا، وبذلك احتلت المرتبة الثانية بعد تجارة السلاح وقبل عائدات صناعة النفط، وهي مرتبطة بالجريمة المنظمة العابرة للحدود والهجرة السرية وتبييض الأموال، ومتداخلة مع تجارة الأسلحة والدواء.

إن مشكلة المخدرات ليست مشكلة أمنية فحسب، بل هي مشكلة اجتماعية واقتصادية وصحية ونفسية ودينية وتربوية وثقافية، وبالتالي فهي تدخل في نطاق اهتمام معظم أجهزة الدولة ومؤسساتها، وبالتالي يجب أن يخطط لها مركزيا، وأن يتم علاجها في إطار خطة قومية شاملة للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

ولعل برمجة مثل هكذا محاضرات يدخل في هذه الخطة، إذ أي خطة لابد لها من التركيز على عامل التوعية والتعريف بالخطر وبماهيته، فمعرفة العدو يساعد بشكل كبير في هزيمته، أما جهله أو تجاهله فهو الهزيمة بعينها.

فالهدف هو تكوين رأي عام مستنير في هذا الموضوع -المخدرات- مواكب للمنظور العلمي الحديث، لتحصين الطالب وكل من يهمه الأمر من هذه الآفة المستفحلة، التي باتت أخطر من الغزو الثقافي؛ ذلك أن الغزو الثقافي إنما يستهدف العقول للنيل منها والسيطرة عليها، بينما تعاطي المخدرات وترويجها بين الشباب إنما يهدف إلى القضاء على العقول والأبدان في آن واحد والقضاء عليهما معا. خاصة وأن خطر التعاطي والإدمان يستفحل يوما بعد يوم، مع انخفاض سن الإدمان، ودخول نوعيات جديدة من صغيري السن من تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات دائرة الموت والهلاك؛ ولم يعد يقتصر الأمر على الذكور من الشباب بل بدأ يتفشى بين الفتيات.

ومما يزيد الأمر ضراوة أن حجم آفة المخدرات في بلادنا غير معروف تماما، وأن ما ينشر من أرقام وإحصائيات لا يعبر بصدق تام عن حجم المشكلة وشدتها، ففي الوقت الذي تضبط فيه حالة أو حالتين تفلت حالات كثيرة، لأن المشتركين في هذه المشكلة أطراف عديدة تبدأ من المموِّل والمهرِّب مرورا بالتاجر والموزِّع وأخيرا المتعاطي.